كل ثورة لها ليدي ماكبث تخصها!

زوجات الدكتاتوريين العرب

في كانون الاول ٢٠١٠ ، جلست سيدة فرنسا الاولى كارلا بروني لتناول الغداء تحت الثريا الذهبية لقصر الاليزيه مع اسماء الاسد زوجة الرئيس السوري بشار الاسد . اثناء جلوسهن مع ازواجهن على مائدة مغطاة بقماش منقوش بصور الفراشات ، كان يرافقهم مصور لالتقاط صور لمجلات مشاهير الفرنسيين. مؤخرا صوتت مجلة ايلي الفرنسية على ان اسماء هي "اكثر النساء اناقة في السياسة العالمية"، و اطلقت عليها مجلة (باريس ماتش) لقب "ديانا الشرق" و "شعاع ضوء في بلد مليء بمناطق الظل".

□ ترجمة: عبد الخالق علي

اسماء وبشار الاسد مع ساركوزي وزوجته كارلا بروني

بعد ايام من ذلك الغداء ، احرق بائع خضار تونسي يائس نفسه واشعل فتيل اول ثورة في ربيع العرب. وبينما كان نادل ساركوزي يقدم للاسد عصيرا في قدح من الكريستال، كان هناك قلق بين بعض الدبلوماسيين من دردشة الرئيس الفرنسي مع رئيس نظام دكتاتوري قمعي معروف بالتعذيب والوحشية وبالسجون السياسية . لكن ساركوزي الخبير بأهمية الزوجات الرقيقات في السياسة، كان يرى اسماء بمثابة بوليصة تأمين له . فيما بعد قال وزير الخارجية الفرنسي الاسبق برنارد كوتشنر"عندما نقول ان بشار هو اسوأ المستبدين" ، يرد ساركوزي" ان بشار يحمي المسيحيين ولا يمكن ان يكون سيئا بوجود زوجة عصرية مثل زوجته".

اليوم وبعد أحد عشر شهرا من القمع الدموي للانتفاضة الديمقراطية في سوريا وقتل الالاف وهرب الاف اللاجئين عبر الحدود السورية، انهارت إستراتيجية اسماء في العلاقات العامة – في حالة اسماء – الاعمال الخيرية التي تلهي الجماهير عن الحقائق الوحشية للنظام .

ليلى الطرابلسي، زوجة الرئيس التونسي زين العابدين بن علي الطموحة سياسيا، كانت اكثر الزوجات مقتا ورمزا وحشيا للمحسوبية والفساد. ابتزازها لثروة الدولة جعل احذيتها التي يبلغ عددها ثلاثة الاف زوج من محلات اميلدا ماركوس تبدو زهيدة ولا قيمة لها . اججت ليلى الطرابلسي الاحساس بالظلم الذي اشعل الثورة من خلال سيطرتها على اقتصاد البلاد على غرار اسلوب المافيا، وشفط ثروات البلاد لصالح افراد اسرتها واسرة زوجها الذين كانوا يسيطرون على ٣٠ – ٤٠ ٪ من اقتصاد البلاد ويديرون كل شيء من شؤون الكمارك الى تجارة السيارات وسلسلة الاسواق واستيراد الموز . هي و أقرباؤها متهمون بطرد ابناء الشعب من مساكنهم اذا ما اعجبتهم الاراضي ، ومصادرة تجارتهم وأعمالهم اذا ما وجدوا انها مربحة لهم . لقد اتخذت الطرابلسي قطعا اثرية لزخرفة غرف قصرها بينما قامت ابنة زوجها وابنه بجلب الايس كريم بالطائرة من سينت تروبيس لتناوله في حفلات عشاء . بالاضافة الى وصفها بالمرأة التي اججت ربيع العرب ، فإن الطرابلسي – التي تحب ان يطلق عليها لقب"السيدة الرئيسة" – قد طبعت الرهبة في مخيلة الناس . احد الكتب التي ألفها رئيس خدمها مؤخرا يحكي كيف انها كانت تقتل الحرباء من اجل ان تلقي تعويذة على زوجها، وكيف انها كانت تعاقب الطباخين بتغميس ايديهم بالزيت المغلي . من منافاهما في السعودية سعت ليلى وزوجها العام الماضي الى تمييز الحكم الغيابي الصادر غيابيا بحقهما والقاضي بسجنهما لمدة ٣٥ عاما بتهمة السرقة والامتلاك غير الشرعي لمبالغ كبيرة من العملة الاجنبية والمصوغات والقطع الاثرية والمخدرات والاسلحة – في اول قضية ضدهما من بين عدة قضايا اخرى . بعد هربهما تم العثور على ٢٧ مليون دولار نقدا وجواهر واسلحة وكيلوين من المخدرات في احد قصورهما المترفة خارج العاصمة تونس .

في نفس الوقت، استفادت سوزان – زوجة الرئيس المصري حسني مبارك نصف الويلزية – من ثروة تقدر بالمليارات في بلد يعيش ٤٠٪ من سكانه على اقل من باوند ونصف في اليوم الواحد . يتم التحقيق معها ومع زوجها اليوم بشأن جرائم ضد الدولة وحول مقتنيات تساوي مليونين ونصف باون تقريبا . قبل الثورة المصرية، كانت كل صفحات الجرائد "مخصصة" لتغطية مشاركات سوزان الخيرية وجهودها لصالح المرأة ، الا ان ذلك – كما هي الحال مع الطرابلسي – كان مجرد واجهة . كانت سيدة تونس الاولى تترأس الكثير من الهيئات الرسمية النسوية وتمنح نفسها جوائز عن دورها في دعم المرأة، بينما مروجو الحملات الديمقراطية الاصلية الداعمة للمرأة يرون زملاءهم يتعرضون للضرب في الشوارع من قبل شرطة النظام ، والسجناء السياسيين يتعرضون للاغتصاب في خلايا التعذيب السرية . بنفس الشكل، كانت سوزان مبارك تطير لتلتقي بزوجات الزعماء العرب من اجل الحديث عن قضايا المرأة بينما يتم قمع المرأة المصرية المستقلة . سوزان – ٧١ عاماً التي كان والدها طبيبا وامها ممرضة من بونتيبريد – تزوجت من مبارك عندما كان عمرها ١٧ عاما وكان هو ضابطا في الجيش يبلغ الثلاثين من العمر . احدى الحكايات تظهرها مضطجعة وهي تبكي على ارضية القصر، وترفض المغادرة خلال الانتفاضة. كان لها نفوذ كبير في التعيينات الحكومية، ويقال انها كانت تتمسك بالسلطة من خلال دفع ابنها لاستلام السلطة من أبيه .

في ليبيا ، كان العقيد القذافي يشتهر بممرضته الاوكرانية وحمايته من النساء اكثر من شهرته بزوجته . الا ان صفية فاركاش، زوجته الثانية التي كانت ممرضة عندما التقاها ، لا تزال غنية ورمزا لصب المال العام في جيوب الاقرباء. ابنته عائشة، التي توصف بانها كلوديا شيفر المنطقة ، المحامية والتي كانت من بين محامي دفاع صدام حسين، كان والدها يعتبرها نموذجا لحقوق المرأة العصرية . هربت صفية وعائشة خلال الانتفاضة عبر الحدود الجزائرية . حاولت صفية القذافي احيانا – خاصة في وسائل الاعلام الغربية – ان تلعب دور الزوجة البسيطة والام التي تحاول اظهار زوجها بمظهر الرجل الانساني . في الثمانينات اخبرت الصحافة الاميركية بانها تخاف حتى من "الدجاجة الميتة" قائلة "اذا وجدت ان القذافي ارهابي فلن ابقى معه".

يبدو ان وسائل الاعلام الغربية متعطشة لجيل جديد اكثر شبابا من السيدات الاوائل العصريات والمتعلمات من طراز المجلات في الشرق الاوسط من امثال ملكة الاردن رانيا (التي احتلت المرتبة الثالثة كأجمل امرأة في العالم حسب مجلة هاربرز والملكة عام ٢٠٠٠) .

ولدت اسماء الاسد في لندن من ابوين سوريين – جراح ودبلوماسي- و ترعرعت في أكتن ودرست في مدرسة كنيسة انكلترا الابتدائية ثم في مدرسة ثانوية اهلية راقية قبل ان تنال شهادة في علوم الحاسبات من كينغز كوليدج في لندن وتعمل في المجال المصرفي . كانت صديقة الطفولة لعائلة الاسد، واصغر بعشر سنوات من بشار الذي جاء الى لندن لدراسة طب العيون ، كما انها مسلمة من المذهب السني، والدها من مدينة حمص بعكس بشار الذي ينتمي الى الاقلية العلوية . كل ذلك يمكن ان يستخدم كوجه ناعم لنظام اصلاحي منتظر. قالت اسماء لاحد الصحفيين عندما سألها ما اذا كانت قد ترددت في ترك عملها المصرفي لتصبح سيدة سوريا الاولى "من الذي يفضّل هارفارد على الحب ؟". وقالت انها ستستخدم خبرتها المالية وحكمها الحاسم في دورها الجديد في ادارة المنظمات غير الحكومية.

ليلى طرابلسي

في دمشق كانت وزوجها يحبان ان يراهما الناس وهما يتناولان العشاء خارج البيت ويتنزهان في السيارة لتكوين صورة عن انهما يفضلان شقة بسيطة على ترف القصر. في باريس اشتهرت بالقائها خطابا ارتجاليا طويلا عن الحضارة ، بينما كانت كريستين لاغارد تنظر اليها باعجاب. وفي مقابلة عام ٢٠٠٩ استنكرت اسماء الهجوم الاسرائيلي على قطاع غزة ووصفته بالبربري وطالبت – كوالدة وكانسان – بانهائه ، حيث قالت "انه القرن الحادي والعشرين، اين يمكن ان يحدث هذا في العالم ؟ لكن للاسف انه يحدث". قمة الهجوم الاعلامي الدولي على اسماء جاء بعد مقالة نشرت في آذار الماضي في مجلة "فوغ" الاميركية قبل بدء الانتفاضة وقوبلت بالقمع . لقد اختفت المقالة بشكل غامض من موقع المجلة . بعد وصفها "وردة في الصحراء" و بانها "اكثر السيدات الاوائل طراوة وجاذبية" ، تظهر اسماء ببنطلون الجينز والكعب العالي وتي شيرت مكتوب على خلفيته "سعادة" ، وهي تصف وطنها بأنه تحكمه مبادئ الديمقراطية ، وهذا هو عكس القمع الذي تمارسه دولة الحزب الواحد الوحشية . واخبرت اسماء مجلة فوغ بأن الجميع يصوّت لما يريد واينما يريد، وبأن مهمتها المركزية هي تغيير تركيبة افكار ستة ملايين سوري تحت سن الثامنة عشرة وتشجيعهم على المشاركة في ما اسمته "المواطنة الفاعلة". في نفس الوقت الذي كانت تتحدث فيه ، كان الناشطون الديمقراطيون يتعرضون للاعتقال والتعذيب .

بعد مقابلتها مع مجلة فوغ ، ومع استمرار القمع الدموي للنظام ، صمتت اسماء. ارسل مكتبها تصريحا للتايمز الشهر الماضي بعد نشرها مقالة تقول "ماذا تقول زوجة الاسد الذكية المتعلمة التي تربت في بريطانيا الليبرالية والتي تكفلت باعمال الخير، بشأن الاعمال الشريرة التي ترتكب يوميا في سوريا. ألا تبالي اسماء الاسد بمعاناة ابناء مذهبها من السنّة على ايدي جلاوزة زوجها العلويين، ام ان الاميرة ديانا السورية تتحول الى ماري انطوانيت سورية ؟". يقول تصريح مكتبها "الرئيس هو رئيس سوريا، و ليس رئيس فصيلة من السوريين، وان السيدة الاولى تدعمه في دوره هذا. ان جدول اعمال السيدة الاولى لازال يركز على دعم اعمال الخير والتطوير الريفي التي انخرطت فيها منذ وقت طويل بالاضافة الى دعم الرئيس عند الحاجة ".

حاليا تنشغل اسماء في ردم الثغرات وتشجيع الحوار. انها تزور وتستمع الى عوائل ضحايا العنف في محاولة للتخفيف عنهم .

تقول جين كنينمونت، الباحثة في شؤون الشرق الاوسط في دار كاثام في لندن، ان زوجات الزعماء في الربيع العربي كانت لهن "اهمية رمزية"، رغم اختلاف اسماء الاسد عن ليلى الطرابلسي التي كانت مصدرا رئيسيا للقلق والاضطرابات ، وتضيف " في سوريا، تركز المقاومة على النظام . في الماضي كانت زوجة بشار تمثل نوعا من المقتنيات بالنسبة له : شابة ، ساحرة ، معروفة عالميا ، تساعد في تلطيف صورته. اليوم ذهب كل ذلك . ارتكبت مجلة فوغ خطأ كبيرا في حكمها في آذار الماضي. لقد كان التوقيت غير مناسب ، لكنه كان جزءا من توجه واسع لرسم صور ناعمة لزوجات المستبدين على انهن نساء ساحرات ومتعلمات وانيقات. لازالت وسائل الاعلام الغربية تقع فريسة للمصيدة الارستقراطية الزائفة . انها جزء من محاولة اظهار النظام بوجه جميل". تقول كينمونت ان رسالة مكتب اسماء جاءت متأخرة جدا وانها تكاد تكون سخيفة . وتضيف "في كافة الدول العربية تقريبا، يعتبر الانتقاد المباشر لرئيس الدولة امر لا يسمح به القانون ، ورغم ان الناس احيانا قد يكرهون زوجات الزعماء شخصيا ، لكن احيانا يكون انتقادهن بديلا عن انتقاد الزعماء انفسهم، فمن حيث المسموح وغير المسموح يكون من الاسهل انتقاد زوجة الزعيم". في نفس الوقت تلقي كيننمونت اللوم على وسائل الاعلام الغربية عن خلق فقاعات اعلامية عن شخصية السيدة الاولى الساحرة .

حاولت اسماء الاسد – في بداية دورها كسيدة اولى – ان تبقى بعيدة، وعند سؤالها عام ٢٠٠٧ عن دورها كزوجة للقائد ، قالت بصوتها البارد و لهجتها المتأنية "هذا ما افعله ، لا اكون كما انا في حقيقتي. في نهاية اليوم اعود نفس الشخص الذي كنت عليه قبل زواجي بالرئيس ، وسأكون نفس الشخص و انا اتمنى التقدم للأمام ".

عن : الغارديان البريطانيّة

سوزان وحسني مبارك

في ليبيا ، كان العقيد القذافي يشتهر بممرضته الاوكرانية وحمايته من النساء اكثر من شهرته بزوجته . الا ان صفية فاركاش، زوجته الثانية التي كانت ممرضة عندما التقاها ، لا تزال غنية ورمزا لصب المال العام في جيوب الاقرباء. ابنته عائشة، التي توصف بانها كلوديا شيفر الاقليم ، المحامية والتي كانت من بين محامي دفاع صدام حسين، كان والدها يعتبرها نموذجا لحقوق المرأة العصرية .